الفصل السابع عشر

البشيرون بقدوم الصباح

من أروع الحقائق المعلنة في الكتاب المقدس وأرهبها وأمجدها في الوقت نفسه حقيقة المجيء الثاني للمسيح ليكمل عمل الفداء العظيم. فشعب الله المتغرب المتروك طويلا ليتغرب في « أرض ظلال الموت » يُعطى رجاءً مفرحا في الوعد بمجيء ذاك الذي هو « القيامة والحياة »، « ليرد منفيَّه ». ان تعليم المجيء الثاني هو محور الكتاب المقدس. فمنذ خرج أبوانا الاولان من عدن كاسفين حزينين ظل أبناء الايمان ينتظرون مجيء ذاك الموعود به ليحطم سلطان المُهلِك ويعيدهم الى الفردوس المفقود. وقد كان رجال الله القديسون قديما يتشوّقون الى مجيء مسيا في مجده كمنتهى رجائهم. ان اخنوخ الذي كان السابعَ من آدم والذي لمدة ثلاثة قرون سار مع الله أعطي له وعد بأن يرى من بعيد مجيء المخلص. فاعلن قائلا : « هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع » (يهوذا ١٤ و ١٥) .وأيوب الشيخ الوقور صاح من وسط بلواه بثقة عظيمة قائلا : « أما أنا فقد علمت أن وليِّي حي والآخر على الأرض يقوم... » (أيوب ١٩: ٢٥) « ومن جسدي أعاين الله الذي أنا أعاينه بنفسي وعيناي تريانه لا غيري » (أيوب ١٩: ٢٦ و ٢٧ ــ ترجمة سنة ١٨٧٨).

ان مجيء المسيح ليحقق مُلك البِر ألهم الكتَّاب القديسين باسمى الاقوال الحماسية. لقد تكلم شعراء الكتاب وأنبياؤه طويلا عن هذا الامر بكلام يتوهج بالنار السماوية. ولقد تغنى صاحب المزامير بعظمة ملك اسرائيل وقدرته وجلاله، فقال: «من صهيون كمال الجمال الله اشرق. يأتي الهنا ولا يصمت... يدعو السموات من فوق الارض الى مداينة شعبه» (مزمور ٥٠: ٢ ــ ٤). «لتفرح السموات ولتبتهج الارض... أمام الرب لانه جاء. جاء ليدين الارض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بامانته» (مزمور ٩٦: ١١ ــ ١٣).

وقال النبي أشعياء : «تحيا أمواتك تقوم الجثث استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لان طلك طل اعشاب الارض تسقط الاخيلة». «يبلع الموت الى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الارض لان الرب قد تكلم. ويقال في ذلك اليوم هوذا هذا الهنا انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه» (إشعياء ٢٦: ١٩؛ ٢٥: ٨ و ٩).

وحبقوق وهو ذاهل من جلال الرؤيا المقدسة أبصر السيد في مجيئه فقال: «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران... جلاله غطى السموات. والارض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور». «وقف وقاس الارض نظر فرجف الامم ودُكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الازل له». «ركبت خيلك مركباتك مركبات الخلاص» «أبصرتك ففزعت الجبال... أعطت اللجة صوتها رفعت يديها الى العلاء. الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة للمعان برق مجدك ». «خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك» (حبقوق ٣: ٣ و ٤ و ٦ و ٨ و١٠ و ١١ و ١٣).

وعندما كان المخلص موشكا أن يرحل عن تلاميذه عزاهم في حزنهم بيقين مجيئه الثاني، قائلا لهم: «لا تضطرب قلوبكم... في بيت أبي منازل كثيرة... أنا أمضي لاعد لكم مكانا. وان مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم اليَّ » (يوحنا ١٤: ١ ــ ٣). « متى جاء ابن الانسان في

مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب » (متى ٢٥: ٣١ و ٣٢).

ثم أن الملاكين اللذين بقيا على جبل الزيتون بعد صعود المسيح رددا على مسامع التلاميذ الوعد بمجيئه قائلين: »ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء» (أعمال ١: ١١). واذ كان بولس الرسول يتكلم بروح الالهام شهد قائلا: «لان الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء» (١تسالونيكي ٤: ١٦). وها هو نبي بطمس يقول:» هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين» (رؤيا ١: ٧)

وحول مجيئه تتجمع أمجاد «ردِّ كلِّ شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أعمال ٣: ٢١). حينئذ سيتلاشى حكم الشر الطويل الامد، وتصير «ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك الى أبد الآبدين» (رؤيا ١١: ١٥): «فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر». «السيد الرب ينبت برا وتسبيحا أمام كل الامم». «يكون رب الجنود اكليل جمال وتاج بهاء لبقية شعبه» (إشعياء ٤٠: ٥؛ ٦١: ١١؛ ٢٨: ٥).

حينئذ فان مملكة المسيح التي ظل الشعب يتوق اليها طويلا والتي هي مملكة السلام ستثبت تحت كل السماء. «فان الرب قد عزَّى صهيون عزَّى كل خربها ويجعل بريتها كعدن وباديتها كجنة الرب». «يدفع اليه مجد لبنان بهاء كرمل وشارون». «لا يقال بعد لكِ مهجورة ولا يقال بعد لارضك موحشة بل تدعين حفصيبة (بهجتي) وأرضك تدعى بعولة» «كفرح العريس بالعروس يفرح بكِ الهكِ» (إشعياء ٥١: ٣؛ ٣٥: ٢؛ ٦٢: ٤ و ٥).

لقد كان مجيء الرب رجاء اتباعه الامناء في كل عصر. ووعد المخلص الوداعي الذي اعطاه على جبل الزيتون بأنه سيأتي ثانية أنار المستقبل أمام تلاميذه مالئا قلوبهم فرحا ورجاء لم يكن للحزن أن يطفئه ولا للتجارب أن تظلمه. ففي وسط الألم والاضطهاد كان « ظهور الله العظيم ومخلصنا يسوع

المسيح» هو «الرجاء المبارك». ان مسيحيي تسالونيكي اذ كانت قلوبهم مفعمة حزنا وهم يدفنون أحباءهم الذين كانوا يرجون أن يعيشوا حتى يروا مجيء الرب وجّه معلمهم بولس أفكارهم الى أن القيامة ستحدث عند مجيء المخلص. وحينئذ سيقوم الاموات في المسيح، ويخطفون مع الاحياء لملاقاة الرب في الهواء. قال: «وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضا بهذا الكلام» (١تسالونيكي ٤: ١٧ ــ ١٨).

واذ كان التلميذ الحبيب في جزيرة بطمس الصخرية سمع هذا الوعد: «أنا آت سريعا»، فجاء جوابه المشتاق مجاهرا بطلبة الكنيسة في كل غربتها قائلا: «آمين تعال أيها الرب يسوع» (رؤيا ٢٢: ٢٠).

فمن أعماق ظلمات السجون، ومن فوق المنصّات التي أعدت لحرق الضحايا، والمشانق التي من فوقها شهد الشهداء والقديسون للحق يجيء نطق ايمانهم ورجائهم عبر أجيال التاريخ. فاذ كانوا «متحققين من قيامة السيد، ومتحققين تبعا لذلك من قيامتهم عند مجيئه» ــ كما يقول أحد هؤلاء المسيحيين ــ «ازدروا بالموت لانهم كانوا متعالين عليه» (٢٧٤). كانوا راغبين في النزول الى القبر لكي «يقوموا أحرارا» (٢٧٥). كانوا ينتظرون «أن يأتي الرب من السماء في السحاب بمجد أبيه» «ليأتي للابرار بازمنة الملكوت». وكان الولدنسيون يعتنقون هذا الايمان نفسه (٢٧٦). وكان ويكلف يتطلع الى الامام الى ظهور الفادي كأنه رجاء الكنيسة (٢٧٧).

وقد أعلن لوثر قائلا: «اني مقتنع بكل يقين ان يوم الدينونة لن يتأخر بعد اليوم ثلاث مئة سنة كاملة. فالله لا يقدر ولن يستطيع الصبر على هذا العالم الشرير أكثر من هذا». «ان اليوم العظيم يقترب وفيه ستخرب مملكة الارجاس» (٢٧٨).

وقد قال ميلانكثون: «ان هذا العالم الهرم ليس بعيدا من نهايته». وكلفن يأمر المسيحيين «ألا يترددوا بل أن يشتاقوا بكل حرارة الى مجيء

المسيح كأسعد حدث». وهو يعلن «أن كل أسرة الامناء يجعلون ذلك اليوم نصب عيونهم دائما». ويقول: «ينبغي لنا أن نجوع الى المسيح ونطلب ونتأمل حتى يبزغ فجر ذلك اليوم العظيم عندما يعلن الرب مجد ملكوته كاملا» (٢٧٩).

وقد قال نوكس المصلح الاسكوتلاندي: « ألم يحمل ربنا يسوع جسدنا الى السماء؟ وهل هو لن يعود؟ نحن نعلم أنه سيعود وسيعود سريعا». وكان ردلي ولايتمر، اللذان بذلا حياتهما لاجل الحق، ينتظران مجيء الرب بايمان. وقد كتب ردلي يقول: «ان العالم من دون شك ــ وهذا ما اعتقده يقينا ولذلك أصرح به ــ يقترب من النهاية. لذلك يجب أن نشترك مع يوحنا خادم الله فنصرخ بملء قلوبنا الى مخلصنا المسيح قائلين: «تعال أيها الرب يسوع» (٢٨٠).

وقد قال باكستر: «ان الافكار الخاصة بمجيء الرب محببة ومفرحة لي» (٢٨١). «ان كوننا نحب ظهوره وننتظر ذلك الرجاء المبارك هو عمل الايمان وصفة قديسي العلي». «اذا كان الموت هو آخر عدو يبطل عند القيامة فيمكننا أن نتعلم بأية غيرة وحرارة ينبغي للمؤمنين أن يشتاقوا الى مجيء المسيح ثانية ويصلّوا حتى تتم هذه الغلبة الكاملة والأخيرة» (٢٨٢). «هذا هو اليوم الذي ينبغي لكل المؤمنين أن يشتاقوا اليه ويرجوه وينتظروه كاتمام لكل عملية فدائهم ولكل رغائب نفوسهم ومساعيها». «أسرع يا رب وعجِّل هذا اليوم المبارك السعيد» (٢٨٣). هذا كله رجاء الكنيسة الرسولية و «الكنيسة في البرية»، ورجاء المصلحين.

ان النبوات فضلا عن كونها قد سبقت فأنبأت عن كيفية مجيء المسيح وغايته فانها قد أوردت العلامات التي بموجبها يعرف الناس قرب مجيئه. قال يسوع: « ولتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم» (لوقا ٢١: ٢٥). «الشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة

ومجد» (مرقس ١٣: ٢٤ ــ ٢٦). وهكذا يصف الرائي أول العلامات التي تسبق المجيء الثاني فيقول: «اذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم» (رؤيا ٦: ١٢).

كارثة لشبونة

وقد رؤيت هذه العلامات قبل بدء القرن التاسع عشر. واتماما لهذه النبوة حدثت في سنة ١٧٥٥ أرهب زلزلة سجلت. ومع أن المشهور عنها أنها زلزلة لشبونة فقد امتدت الى أبعد أنحاء أوروبا وأفريقيا وأمريكا. فقد أحس بها الناس في غرينلاند وجزر الهند الغربية وجزيرة ماديرا والنروج والسويد وبريطانيا العظمى وايرلاندا، ضمن مساحة لا تقل عن أربعة ملايين ميل مربع. وقد كانت شدة الهزة في أفريقيا كما كانت في أوروبا تقريبا، وقد خرب قسم كبير من بلاد الجزائر، وعلى مسافة قريبة من مراكش ابتلعت قرية عدد سكانها ٨ أو ١٠ آلاف نسمة في جوف الارض. وقد اكتسحت موجة هائلة شاطئ اسبانيا وأفريقيا فابتلعت مدنا وأحدثت تخريبا عظيما.

كانت الهزة على أشد عنفها في اسبانيا والبرتغال. ففي قادس قيل ان ارتفاع الموجة بلغ ستين قدما. «وأعظم الجبال في البرتغال اهتزت بقوة هائلة كأنما من أساسها، وبعض منها حدثت في قممها شقوق فتمزقت بطريقة عجيبة وقُذفت كتل هائلة من صخورها الى الاودية المجاورة، وقيل ان لهب نار خرجت من تلك الجبال » (٢٨٤).

وفي لشبونة «سُمع صوت رعد من تحت الارض، وبعد ذلك حالا أسقطت هزة عنيفة الجانب الاكبر من المدينة. وفي مدى ست دقائق هلك ستون ألفا من السكان. في البدء تراجع البحر وجفت مياه الميناء وبعد ذلك ارتدت المياه وكان ارتفاعها يبلغ خمسين قدما أو أكثر فوق السطح العادي». «وبين الاشياء غير العادية التي حدثت في لشبونة والتي قيل أنها وقعت في أثناء تلك الكارثة هبوط رصيف جديد مبني كله من الرخام بلغت تكاليفه مبلغا

كبيرا. وكان قد تجمع جمهور كبير من الناس على ذلك الرصيف طلبا للنجاة لظنهم أنهم سيكونون بعيدين من الانقاض المتساقطة. ولكن فجأة غاص الرصيف بكل من كانوا واقفين عليه ولم تطف على سطح الماء جثة واحدة من تلك الجثث» (٢٨٥).

«كان من نتائج الزلزلة سقوط كل الكنائس والاديرة ومعظم الابنية العامة وأكثر من ربع البيوت. وفي خلال ساعتين بعد تلك الهزة اشتعلت النيران فى أحياء مختلفة، وظلت في عنفها تلتهم ما أمامها لمدة ثلاثة أيام حتى خربت المدينة تماما. وقد حدثت الزلزلة في يوم مقدس عندما كانت الكنائس والاديرة مزدحمة بالناس الذين لم ينج منهم غير القليل جدا (٢٨٦). أما الرعب الذي شمل الناس فيجل عن الوصف. لم يبك أحد، فلم يكن مجال لسكب الدموع. بل جعل الناس يجرون الى هنا وهناك وهم يهذون من هول الرعب والدهشة، وكانوا يلطمون وجوههم ويقرعون صدورهم وهم يقولون « لقد انتهى العالم ! » ونسيت الامهات أولادهن وكن يركضن حاملات تماثيل الصلبان. ولسوء الحظ ركض كثيرات منهن الى الكنائس ليحتمين فيها، ولكن عبثا عُرض سر القربان المقدس، وعبثا احتضن الناس المساكين المذابح. لقد دُفنت التماثيل والكهنة والشعب في ذلك الدمار الواحد الشامل». وقُدر أن عدد النفوس التي هلكت في ذلك اليوم المخيف بلغ تسعين ألف.

اظلام الشمس والقمر

وبعد ذلك بخمس وعشرين سنة ظهرت العلامة التالية المذكورة في النبوة، أي اظلام الشمس والقمر. والذي زاد من الدهشة عند ظهور هذه العلامة هو حقيقة كون وقت اتمامها كان قد أشير اليه بكل وضوح وأنبئ به. ففي حديث المسيح مع تلاميذه على جبل الزيتون، اذ وصف لهم المحنة الطويلة التي ستمر بها الكنيسة ــ أي مدة ١٢٦٠ سنة من الاضطهاد البابوي، والتي قال فيها السيد أن مدة الضيق ستقصر ــ ذكر بعض العلامات الخاصة التي

ستسبق مجيئه، وحدد الزمن الذي ستحدث فيه أولى تلك الحواث فقال : « وأما في تلك الايام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه » (مرقس ١٣: ٢٤). ان الـ ١٢٦٠ يوما أو سنة انتهت في عام ١٧٩٨. وقبل ذلك بربع قرن كان الاضطهاد قد أوشك على الانتهاء. وبحسب كلام المسيح كان سيعقب هذا الاضطهاد اظلام الشمس. ففي التاسع عشر من أيار (مايو) عام ١٧٨٠ تمت هذه النبوة.

« ان يوم الظلام الذي وقع في ١٩ أيار (مايو) عام ١٧٨٠ يكاد يكون يوما فريدا ان لم يكن هو اليوم الاوحد اطلاقا كأعظم يوم غامض في الظاهرة التي لم يجد الناس لها تفسيرا بعد ... فلقد شملت كل السموات المنظورة والجو في نيو انجلند ظلمة لم يعرف مأتاها ولا أمكن التعليل عنها » (٢٨٧).

ويصف شاهد عيان ممن كانوا يعيشون في مساشوستس ذلك الحادث بقوله :

«في الصباح أشرقت الشمس صافية ولكن سرعان ما شملها الظلام. صارت السحب منخفضة وهي اذ كانت سوداً ومنذرة بالخطر كما بدا عليها حالا لمعت منها البروق ودمدمت الرعود وانهمر مطر قليل. وحوالي الساعة التاسعة صارت السحب أقل كثافة، وصار منظرها كالنحاس الاصفر أو الاحمر، فتغيرت مناظر الارض والصخور والاشجار والمباني والماء والناس بفعل ذلك النور الغريب الذي ليس من الارض. وبعد دقائق قليلة انتشرت سحابة سوداء في الجو كله باستثناء حيز صغير جدا في الافق. وكانت الدنيا ظلاما كما تكون عادة في الساعة التاسعة من احدى ليالي الصيف...

«وبالتدريج امتلأت عقول الناس بالخوف والجزع والرهبة. وقد وقفت النساء أمام أبوابهن ينظرن الى ذلك المنظر المظلم، وعاد الرجال من عملهم في الحقول، والنجار ترك أدوات نجارته، والحداد ترك كوره، والتاجر ترك متجره. وقد صُرف التلاميذ من مدارسهم ليعودوا الى بيوتهم فعادوا مرتعبين، والمسافرون

لجأوا الى أقرب مزرعة. وتردد هذا السؤال على كل لسان وفي كل قلب : " ما الذي سيحدث ؟ " وقد بدا كأن إعصارا موشك أن يهب على البلاد، أو كأن هذا اليوم هو يوم نهاية كل شيء.

« وقد أضيئت الشموع وأوقدت نيران المواقد التي أرسلت نورها كما في ليلة من ليالي الخريف لا قمر فيها .. .وعادت الدواجن الى صغارها لتهجع وتنام، والمواشي تجمعت في مراعيها وجعلت تخور، والضفادع جعلت تنقنق، والطيور بدأت تنشد اغنيات المساء، وجعلت الخفافيش تطير هنا وهناك. أما بنو الانسان فكانوا يعلمون أن الليل لم يأت بعد...

« أقام الدكتور نثنائيل هويتيكر، راعي كنيسة التابرناكل في ساليم، خدمات دينية في بيت الصلاة وألقى عظة فيها أعلن أن الظلمة فائقة الطبيعة. وأقيمت اجتماعات أخرى في أماكن متعددة. وكانت الآيات التي بنيت عليها العظات المرتجلة قد أجمعت كلها على أن تلك الظلمة كانت متفقة مع النبوات الكتابية ... وقد زاد ادلهمام الظلمة حالا بعد الساعة الحادية عشرة » (٢٨٨). « وفي معظم أنحاء البلاد كان الظلام كثيفا بحيث لم يكن أحد يستطيع أن يتبين الوقت لا من الساعات الصغيرة ولا من ساعات الحائط، ولا أن يتناول غداءه أو يدير شؤون بيته من دون استخدام أنوار الشموع...

« كان ذلك الظلام واسع النطاق. وقد لوحظ أنه امتد حتى الى فالموث شرقا. أما في الغرب فقد وصل الى أبعد أطراف كنكتكوت والى ألباني. وفي الجنوب رؤي على شواطئ البحر. وفي الشمال امتد الى أقصى حدود أماكن الاستيطان الامريكية »(٢٨٩).

شهادة التاريخ

وقبل الغروب بساعة أو ساعتين حل مكانَ الظلام الكثيف نورُ النهار الصافي جزئيا، فظهرت الشمس وان تكن لا تزال مكتنفة بضباب أسود ثقيل. « وبعد

الغروب تجمعت السحب ثانية فوق الرؤوس. وسرعان ما زاد ظلامها ». « وكذلك لم يكن ظلام الليل عاديا ولا أقل رعبا من ظلمة النهار، فمع أن القمر كان تقريبا بدرا فلم يكن من يستطيع أن يميز الاشياء من دون الاستعانة بالانوار الصناعية التي عندما كانت تشاهد من البيوت المجاورة أو الاماكن البعيدة كانت ترى مكتنفة بظلمة كظلمة مصر التي كان يمكن لاشعة النور أن تخترقها بالجهد » (٢٩٠). وقد قال شاهد عيان لهذا المنظر في ذلك الحين : « لقد أمكنني أن أفهم وقتئذ أنه لو أن كل الاجرام السماوية المضيئة في كل المسكونة لُفت في ظلمات لا ينفذ اليها النور، أو لو محيت من الوجود لما كان الظلام حينئذ أشد من هذا الذي رأيته » (٢٩١). ومع أن القمر كان قد توسط السماء في التاسعة مساء فأرسل أنواره فانه « لم يكن له أقل أثر في طرد الظلمات الشبيهة بظلمات الموت ». وبعد منتصف الليل انقشعت الظلمة، وعندما ظهر القمر لاول مرة كان يشبه الدم في لونه.

يسمى يوم ١٩ أيار (مايو) من عام ١٧٨٠ « اليوم المظلم » في التاريخ. فمنذ عهد موسى لم يسجل التاريخ فترة مظلمة في مثل حلوكة هذا اليوم أو اتساعه أو مدته. ان وصف هذا الحادث كما قدمه شهود العيان انما هو صدى لكلام الرب الذي سجله يوئيل النبي قبل اتمامه بألفين وخمس مئة سنة، اذ قال : « تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل ان يجيء يوم الرب العظيم المخوف » (يوئيل ٢: ٣١).

علامات أخرى للمجيء

لقد أمر المسيح شعبه أن يراقبوا علامات مجيئه ويفرحوا حين يرون علامات مليكهم الآتي. فقال : « متى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لان نجاتكم تقترب ». ثم وجه انظار تابعيه الى ظهور براعم الاشجار في الربيع فقال :

« متى افرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الاشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب » (لوقا ٢١: ٢٨ و ٣٠ و ٣١).

ولكن اذ احتلت الكبرياء والتمسك بالطقوس مكان روح الوداعة والورع في الكنيسة فترت المحبة للمسيح والايمان بمجيئه. واذ انغمس اولئك المعترفون بولائهم لله في الامور الدنيوية وصاروا يركضون في أثر المسرات العالمية عميت أذهانهم عن تعليمات المخلص الخاص بعلامات ظهوره. لقد أهمل تعليم المجيء الثاني، والاقوال الالهية الخاصة به حجبها التحريف الى حد أن أغفلت ونسيت الى حد كبير. هكذا كانت الحالة في كنائس أمريكا على الخصوص. فالحرية والراحة اللتان كانت كل طبقات المجتمع تنعم بهما، واشتهاء الغنى والطموح في طلب الترف، والشوق الطاغي الى جمع المال والاندفاع القوي نحو الشهرة والسلطان، الامور التي بدا أنها في متناول أيدي الجميع، كل هذه جعلت الناس يركزون اهتماماتهم وآمالهم في أمور هذه الحياة، ويبعدون عن تفكيرهم، الى المستقبل البعيد، ذلك اليوم الخطير الذي فيه سيزول ويبطل نظام الاشياء الحاضرة.

عندما وجه المخلص أفكار تابعيه الى علامات مجيئه الثاني أنبأهم عن حالة الارتداد التي ستعم العالم قبيل ذلك. فكما كانت الحال في أيام نوح كذلك ستكون الحال حينئذ اذ سيكون النشاط وحركة التجارة العالمية على أشدهما، وكذلك السعي في أثر المسرات، والبيع والشراء والغرس والبناء؛ ثم ان الناس سيزوجون ويتزوجون، وفي الوقت نفسه ينسون الله والحياة الآتية. فلمثل اولئك العائشين في هذا الوقت يقدم المسيح انذاره قائلا : « فاحترزوا لانفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ». « اسهروا اذاً وتضرعوا في كل حين لكي

تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الانسان » لوقا ٢١: ٣٤ و ٣٦).

يصور حالة الكنيسة في هذا الوقت قول المخلص في سفر الرؤيا : «ان لك اسما انك حي وأنت ميت ». والذين يرفضون ان يستيقظوا من طمأنينتهم الكاذبة وعدم اكتراثهم يُقدم اليهم ذلك الانذار الخطير القائل : « ان لم تسهر أُقدِم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤيا ٣ : ١ و ٣).

كانت الحالة تدعو الى أن يصحو الناس ويتنبهوا الى خطرهم وان يستيقظوا للتأهب للاحداث الخطيرة المتصلة بنهاية الاختبار. ويعلن نبي الله قائلا : «يوم الرب عظيم ومخوف جدا فمن يطيقه » ؟ من يستطيع أن يثبت عندما يقترب ذاك الذي عيناه « أطهر من أن تنظرا الشر » ولا يستطيع «النظر الى الجور » ؟ (يوئيل ٢: ١١، حبقوق ١: ١٣). أما الذين يصرخون قائلين : « يا الهي نعرفك » ومع ذلك يتعدون عهده ويسرعون وراء آلهة أخرى ويخفون الاثم في قلوبهم ويحبون طرق الظلم، لهؤلاء يكون يوم الرب «ظلاما لا نورا. وقتاما ولا نور له » (هوشع ٨: ١ و ٢؛ مزمور ١٦: ٤؛ عاموس ٥: ٢٠). « ويكون في ذلك الوقت يقول الرب : « اني أفتش أورشليم بالسرج وأعاقب الرجال الجامدين على دُرديِّهم القائلين في قلوبهم ان الرب لا يحس ولا يسيء » (صفنيا ١: ١٢). « واعاقب المسكونة على شرها والمنافقين على اثمهم وأبطل تعظم المستكبرين وأضع تجبُّر العتاة » (أشعياء ١٣ :١١ » .(لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع انقاذهم » « فتكون ثروتهم غنيمة وبيوتهم خرابا » (صفنيا ١: ١٨ و ١٣).

الدعوة الى النهوض

والنبي أرميا اذ نظر الى هذا الوقت المخيف صاح قائلا : « توجعني جدران قلبي ... لا أستطيع السكوت لانكِ سمعتِ يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب.

بكسر على كسر نودي » (ارميا ٤: ١٩ و ٢٠).

« ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب. يوم بوق وهتاف » (صفنيا ١: ١٥ و ١٦). «هوذا يوم الرب قادم... ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها» (أشعيا ١٣: ٩).

وفي نور ذلك اليوم العظيم تدعونا كلمة الله بلغة مهيبة ومؤثرة وتدعو شعب الله كله لينهضوا من سباتهم الروحي ويلتمسوا وجهه بالتوبة والتذلل، فيقول : « اضربوا بالبوق في صهيون صوِّتوا في جبل قدسي. ليرتعد جميع سكان الارض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب ». «قدسوا صوما نادوا باعتكاف. اجمعوا الشعب قدسوا الجماعة احشدوا الشيوخ اجمعوا الاطفال... ليخرج العريس من مخدعه والعروس من حجلتها. ليبكِ الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ». « ارجعوا اليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم لانه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة » (يوئيل ٢: ١ و ١٥ ــ ١٧ و ١٢ و ١٣).

ولاجل اعداد شعب الرب للوقوف في يوم الله كان لا بد من اجراء اصلاح عظيم. لقد رأى الله أن كثيرين من المعترفين بأنهم شعبه لم يكونوا يبنون للابدية. ففي رحمته كان من المنتظَر أن يرسل اليهم رسالة انذار لايقاظهم من خمولهم وليجعلهم يستعدون لمجيء الرب.

وهذا الانذار نجده في (رؤيا ١٤). ففي هذا الاصحاح توجد رسالة مثلثة، وهي موصوفة بانها معلنة على أفواه خلائق سماوية، ويتبع ذلك مباشرة مجيء ابن الانسان ليجمع « حصيد الارض ». وأول هذه الانذارات يعلن عن الدينونة المقبلة. لقد رأى النبي ملاكا طائرا « في وسط السماء معه بشارة ابدية ليبشر الساكنين على الارض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب قائلا بصوت عظيم خافوا الله وأعطوه مجدا لانه قد جاءت ساعة دينونته واسجدوا لصانع السماء

والارض والبحر وينابيع المياه » (رؤيا ١٤: ٦ و ٧).

هذه الرسالة أعلن عنها أنها جزء من « البشارة الابدية ». فالكرازة بالانجيل لم يكلف بها الملائكة بل الناس، لكنّ الملائكة القديسين كلفوا بتوجيه وادارة هذا العمل. لقد وُكلت اليهم الحركات العظيمة لاجل خلاص الناس. الا أن الاعلان الفعلي للانجيل يقوم به خدام المسيح على الارض.

فالناس الامناء الذين كانوا مطيعين إلهام روح الله وتعاليم كلمته كان عليهم أن يعلنوا هذا الانذار للعالم. انهم هم الذين انتبهوا الى « الكلمة النبوية وهي أثبت » وهي السراج المنير « في موضع مظلم الى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح » (٢ بطرس ١: ١٩). لقد كانوا يطلبون معرفة الله أكثر من كل الكنوز اذ حسبوا تجارتها خيرا من تجارة الفضة وربحها خيرا من الذهب الخالص » (أمثال ٣: ١٤). والرب قد أعلن لهم عظائم ملكوته: «سر الرب لخائفيه لتعليمهم » (مزمور ٢٥: ١٤).

رجال متواضعون يقدمون الرسالة

ولم يكن العلماء اللاهوتيون هم الذين فهموا هذا الحق وأذاعوه. فلو كان هؤلاء الناس حراسا أمناء وفتشوا الكتب باجتهاد في روح الصلاة لامكنهم أن يعرفوا ذلك الهزيع من الليل. وكانت الكتب المقدسة قد كشفت لهم عن الحوادث الوشيكة الوقوع. ولكنهم لم يقوموا بمطالب ذلك المركز فسُلمت الرسالة الى جماعة من المساكين المتواضعين. لقد قال يسوع: «سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يوحنا ١٢: ٣٥). فالذين يبتعدون عن النور الذي قد أعطاه الله، أو الذين يهملون في طلبه حين يكون في متناول أيديهم يُترَكون في الظلام. لكنّ المخلص أعلن قائلا : «من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة » (يوحنا ٨: ١٢). فكل من يطلب أن يعمل ارادة الله بقصد وعزم موحدين، وبكل غيرة ينتبه الى النور المعطى من قبل، سيحصل

على نور أكمل؛ فلمثل تلك النفس سترسل السماء نجما ذا لمعان سماوي ليرشدها الى كل الحق.

عند المجيء الاول للمسيح كان يمكن للكهنة والكتبة في المدينة المقدسة الذين استؤمنوا على أقوال الله أن يفهموا علامات الأزمنة ويعلنوا عن مجيء السيد الموعود به. لقد حددت نبوة ميخا مكان مولده، وكذلك حدد دانيال زمان مجيئه (ميخا ٥: ٢؛ دانيال ٩: ٢٥). وقد سلم الله هذه النبوات لرؤساء اليهود، ولم يكن لهم عذر لو انهم لم يعرفوا ولم يعلنوا للشعب أن مجيء المسيح قريب. فقد كان جهلهم نتيجة اهمالهم الخاطئ. كان اليهود يبنون أضرحة أنبياء الله الذين قتلوا، بينما هم باكرامهم لعظماء الارض كانوا يبدون ولاءهم لعبيد الشيطان. فاذ كانوا منغمسين في منازعاتهم وطموحهم في طلب المركز السامي والسلطان بين الناس غابت عن أنظارهم الكرامات الالهية الممنوحة لهم من ملك السماء.

كان ينبغي لشيوخ اسرائيل أن يداوموا على البحث والاستقصاء عن مكان أعظم حادث في تاريخ العالم وعن زمانه وظروفه، أي مجيء ابن الله لاجل فداء الانسان، باهتمام خشوعي عميق. وكان ينبغي لكل الشعب أن يكونوا ساهرين ومنتظرين لكي يكونوا أول من يرحبون بفادي العالم. ولكن ها في بيت لحم كان يوجد مسافران متعبان، كانا قد قطعا الشارع الضيق بطوله الى طرف البلدة الشرقي يبحثان عبثا عن مكان يلجآن اليه ويستريحان فيه تلك الليلة. ولكن لا بيت فتح بابه لقبولهما. وفي النهاية وجدا ملجأ في حظيرة قذرة من حظائر الماشية، وهناك وُلد مخلص العالم.

أخبار مفرحة

لقد رأت ملائك السماء المجد الذي كان لابن الله عند أبيه قبل كون العالم، فباهتمام عظيم تشوَّفوا الى ظهوره على الارض كحادث يسبب أعظم فرح لجميع الشعب. وقد تعيَّن على الملائكة أن يحملوا البشرى للذين كانوا

متأهبين لقبولها والذين كانوا بكل فرح سيذيعونها على كل ساكني الارض. لقد تنازل المسيح فاتخذ لنفسه طبيعة الانسان، وكان عليه ان يحمل عبئا ثقيلا من الويل والألم اذ كان عليه أن يجعل نفسه ذبيحة اثم، ومع ذلك فقد كان الملائكة يتوقون الى أن يبدو ابن العلي في عظمة ومجد يليقان بصفاته حتى وهو في حالة الاتضاع. فهل سيجتمع عظماء الارض في عاصمة اسرائيل ليحيوه عند مجيئه ؟ وهل ستقدمه جيوش الملائكة الى الجموع التي تنتظره ؟

ان ملاكا ينزل الى الارض ليرى من هم المتأهبون للترحيب بيسوع. ولكنه يكاد لا يرى علامة من علامات الانتظار، ولا يسمع صوت التسبيح والانتصار لكون وقت مجيء مسيا على الابواب. ها الملاك يطير بعض الوقت فوق المدينة المختارة والهيكل الذي كان يُعلَن فيه الحضور الالهي أجيالا طويلة، ولكن حتى في هذا المكان يُرى عدم الاكتراث نفسه. ان الكهنة في فخامتهم وكبريائهم يقدِّمون ذبائح عائبة في الهيكل. والفريسيون يخاطبون الشعب بأصواتهم العالية أو يتفاخرون بتقديم صلواتهم في زوايا الشوارع وفي قصور الملوك وفي مجتمعات الفلاسفة وندواتهم وفي مدارس معلمي الناموس، الجميع عديمو الاكتراث ولا يلقون بالا الى الحقيقة العجيبة التي قد ملأت السماء فرحا وتسبيحا، وهي أن فادي البشر منتظَر ظهورُه على الارض.

لا برهان على أن الناس ينتظرون المسيح ولا استعدادات لقدوم رئيس الحياة. والرسول السماوي في ذهوله موشك أن يعود الى السماء ومعه ذلك الخبر المخجل، واذا به يكتشف جماعة من الرعاة الذين يحرسون قطعانهم في الليل،واذ يشخصون الى السماء التي زانتها النجوم يتأملون في النبوة الواردة عن مسيا الآتي الى الارض ويتوقون لمجيء فادي العالم. هنا جماعة متأهبة لقبول رسالة السماء. وفجأة يظهر ملاك الرب معلنا بشارة الفرح العظيم. وها المجد السماوي يغمر ذلك السهل كله، ويظهر جمع غفير من الملائكة، وكأنما الفرح عظيم جدا بحيث لا يستطيع رسول واحد أن يعلنه من السماء، واذا باصوات

كثيرة عذبة تتغنى بانشودة السماء التي ستتغنى بها فيما بعد أمم الأرض جميعا قائلا : «المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة » (لوقا ٢: ١٤).

ما أعظم قصة بيت لحم هذه من درس عجيب لنا ! وكم توبخ عدم ايماننا وكبرياءنا واكتفاءنا بذواتنا ! وكم تنذرنا بأن نحترس لنفوسنا لئلا بلا مبالاتنا المجرمة نخيب نحن أيضا فلا نميِّز علامات الازمنة، ولذلك لا نعرف زمان افتقادنا!

لم يجد الملاك مترقبي مجيء مسيا على جبال اليهودية وحدها وبين الرعاة المنفردين وحدهم. ففي بلاد الامم أيضا كان يوجد جماعة انتظروه. كانوا رجالا من حكماء بلاد المشرق واغنيائها ونبلائها وفلاسفتها. فاذ كان أولئك المجوس يتلقون العلم على يدي الطبيعة فقد رأوا الله في خلائقه ومصنوعاته. وكانوا قد علموا من كتب العهد القديم شيئا عن الكوكب الذي يبرز من يعقوب، وبشوق ولهفة انتظروا مجيئه، وهو الذي لن يكون «تعزية اسرائيل» فحسب بل نورا ينير الامم و « خلاصا الى أقصى الارض » (لوقا ٢: ٢٥ و ٣٢؛ اعمال ١٣: ٣٧). لقد كانوا باحثين عن النور، فأنار لاقدامهم الطريق نور آت من عرش الله. ان كهنة اورشليم ومعلموها الذين عُيِّنوا ليكونوا حراسا على الحق ومفسرين له، اذ كانوا مكتنفين بالظلام، فان النجم الذي أرسلته السماء أرشد هؤلاء الامم الغرباء الى مكان ميلاد الملك الوليد.

«للذين ينتظرونه: »

ان المسيح « سيظهر ثانية بلا خطيئة للخلاص للذين ينتظرونه » (عبرانيين ٩: ٢٨). فكما أن أخبار ميلاد المخلص لم تسلَّم للرؤساء الدينيين كذلك رسالة مجيئه الثاني. لقد اخفقوا في الاحتفاظ بصلتهم بالله ورفضوا النور المنبثق من السماء، فلذلك لم يكونوا ضمن الذين قال عنهم بولس الرسول : «وأما أنتم أيها الاخوة فلستم من ظلمة حتى يدرككم

ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار لسنا من ليل ولا ظلمة » (١ تسالونيكي ٥: ٤ و٥).

الشعب نيام

كان ينبغي للحراس الواقفين على أسوار صهيون أن يكونوا أول من يستقبلون أخبار مجيء المخلص، وأول من يرفعون أصواتهم معلنين أنه قد قرب، وأول من ينذرون الناس ليتأهبوا لقدومه. لكنهم كانوا مستريحين يحلمون بالسلام والأمان حين كان الناس نائمين ومستريحين في خطاياهم. لقد رأى يسوع كنيسته كالتينة العقيمة، عليها ورق الادعاء الريائي، ولكن ليس فيها الثمر الثمين. كانوا في تفاخرهم يحفظون طقوس الديانة فيما كانت تعوزهم روح الوداعة الحقيقية والتوبة والايمان، التي هي من دون سواها تجعل الخدمة مقبولة لدى الله. وبدلا من فضائل الروح أظهروا الكبرياء وتمسكوا بالرسميات والطقوس والمجد الباطل والانانية والظلم. فالكنيسة المرتدة أغمضت عينيها حتي لا ترى علامات الازمنة. لكنّ الله لم يتركهم ولم يكذب من جهة أمانته، أما هم فتركوه وانفصلوا عن محبته. ولانهم رفضوا الامتثال لشروطه لم يتمم مواعيده لهم.

هذه هي النتيجة الاكيدة لرفض تقدير النور والانتفاع به والامتيازات التي يمنحها الله. فما لم تسر الكنيسة في أثر خطوات عنايته التي تكشف الطريق أمامها، وما لم تقبل كل شعاع من أشعة النور، متممة كل واجب يعلن لها، فستنحط الديانة حتما بحيث تصير مجرد حفظ طقوس، أما روح التقوى الحيوية فستختفي. وقد زخر تاريخ الكنيسة بامثلة متعددة تُبرز هذه الحقيقة. فالله يطلب من شعبه أعمال الايمان والطاعة المطابقة للبركات والامتيازات الممنوحة لهم. والطاعة تتطلب التضحية المنطوية على حمل الصليب، وهذا هو السبب الذي لاجله يرفض من يعترفون بأنهم أتباع المسيح قبول النور المنبعث

من السماء، وكاليهود قديما لم يعرفوا زمان افتقادهم (لوقا ١٩: ٤٤). فبسبب كبريائهم وعدم ايمانهم تجاوزهم الرب وأعلن حقه للذين على غرار رعاة بيت لحم والمجوس القادمين من المشرق انتبهوا الى كل النور الذي قد قبلوه .